



جوخة: قمر السيدات

ساجي ت^١،

د.عبد ب^٢.

الأدب العربي مرة أخرى

قد شهد العالم العربي في العقد الثاني من هذا القرن لإنجازهمّ وملمعة، خاصة بلاد عمان التي ضمّت رجال الأدب إلى حضنها الخصبة برحب وهناء، حازت الروائية العمانية جوخة الحارثي الجائزة مان بوكار العالمي المشهورة لسنة ٢٠١٩م. وذلك لترجمة الإنجليزية لروايتها المشهورة "سيدات القمر" شاطرت الجائزة مع السيدة ميرلين بوث،

١ . باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية ممباد، كيرلا، الهند

٢ . رئيس قسم العربية، كلية الحكومة، بتامبي ومشرف بحث قسم اللغة العربية، كلية ممباد، كيرلا، الهند

التي ترجمتها إلى الإنجليزية، الأكاديمية الأمريكية وصاحبة مترجمات عديدة من اللغة العربية. هذه هي المرة الثانية تصل الأدب العربي إلى أوج الأدب العالمي في تاريخها الغني، وحصول الأديب المصري نجيب محفوظ على الجائزة نوبيل سنة ١٨٨٨ م. كان الإنجاز العظيم لأدب العربي من قبل. وأدب الرواية العمانية كثرت سرعة تطورها بعد الألفين الميلادية. صار هذا المجال متدققاً بالإبداعات بحيث تحوّلت أفكار الشعراء أيضاً إلى كتابة الروايات، بعد أن كان معظم أدبائها هم الشعراء. هذه الكلمات عرض موجز لحالة المعاصرة لأدب العماني، والدرجة المتفوقة التي تمت حصولها لأدبية جوخة الحارثي، وحياتها المنشطة الخصبة بأعمال الأدبية، وخصائص روايتها "سيدات القمر" المتفردة في نوعها الأدبي.

الإنجاز من خلال عمانية

والروائية جوخة الحارثي أيضاً قد جاءت مركز الالتفات أمام العالم من خلال هذا الإنجاز، صاحبة إبداعات متميزة في مجال فن الأدب الراهن. وهي المولودة في عمان سنة ١٩٧٨ م.، المتأهلة لدرجة الماجستير في اللغة العربية سنة ٢٠٠٣ م. ودرجة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة ادنبره بإسكتلندا. وهي الآن أستاذة للأدب العربي في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان. شاركت في عديد من الندوات والفعاليات الأدبية واللغوية، وألقت كثيراً من المحاضرات في شتى الموضوعات.

جوخة الحارثي ليست هي من الذين تراكمت مؤلفاتهم الباهضة ترصد الجوائز الدولية، وإنما إصدار "سيدات القمر" في الترتيب الثاني من رواياتها، وقد سبقها "المنامات" الصادرة سنة ٢٠٠٤ م.، تعد الأولى من الأعمال الروائية لها. وروايتها "نارنجة" هي الثالثة من هذا النوع. وتجري ترجمتها بيد مارلين بوث، نفس الأيدي التي قامت بترجمة "سيدات القمر" إلى الإنجليزية. ترجمت بعض قصص جوخة الحارثي القصيرة إلى اللغات الإنجليزية والألمانية والصربية والإيطالية والكورية. ولها مجموعة قصصية باسم "صبي على السطح". وفي أدب الأطفال رسخت قدمها بتأليف "السحابة تتمتى" و"عش للعصافير"، الذي ساعدها للحصول على الجائزة لأفضل كتاب في فرع أدب الأطفال في مسابقة أفضل إصدار عماني منشور في مجالي الأدب والثقافة سنة ٢٠١٠ م. و"مقاطع من سيرة

لبنى اذ آن الرحيل " من مجموعتها القصصية الأخرى صدرت عام ٢٠٠١م. ولها أيضا من دراسات أدبية قيّمة ومقالات تنشر المعلومات العصرية في موضوعات متنوعة. وليست هذه هي المرة الأولى يعرف المجتمع العماني تألق إبداعه جوخة الحارثي، وقد نالت الرواية "سيدات القمر" جائزة أفضل رواية عمانية في مسابقة أفضل إصدار عماني منشور في مجالي الأدب والثقافة لعام ٢٠١٠م.

سيدات القمر: من أنماط الرواية الأحدث

والرواية "سيدات القمر" جعلت جوخة أوّل شخصية عربية يفوز بجائزة المان بوكار العالمية وهي تعكس صورة تطور الاجتماعية العمانية، تسرد قصة ثلاثة أجيال من عام ١٨٨٠م. إلى الآن في خلفيات قرية خيالي باسم "العوافي"، تتميز الرواية باتباعها طريقة السرد الأحدث التي تتجلى في الروايات الأوربية، لها أهمية كبرى في لفت أنظار الأدب العالمي إلى عالم الأدب العربي مرة أخرى. وهي تاريخ رحلة التطور لبلد عمان من البدوية إلى الحضرة، وذلك بدون انقطاع حبل الوصال بين مراحل الزمن المختلفة. والكاتبة جوخة الحارثي تحاول في الرواية تناول جميع القضايا المهمة التي تمس قاع المجتمع العماني ١، فازت في إبراز مشكلات النساء والعبيد، التي سيطرت على المجتمع في حقبة من الزمن الماضي.

صارت الرواية نقطة الالتفات للنقاد بعد نيل الجائزة المعروفة في العالم، طار صيت صاحبها في العالم على إثرها و الأدب العربي في بلدة عمان أيضا، التي تأخر ظهور أدب الرواية بها عموما من سائر البلاد العربي نحو سبعين عاما كما رأى الكاتب شوقي عبد الحميد يحيى ٢. ومن النقاد من ينتقدها بأنها نالت الجائزة لما أعطت السقالة لثقافة الأوربيين، والرواية لم تجد التبريرات لمثل هذه الدعوى، لأنه تتميز الرواية من جميع جهات الفنية والأدبية، ومن جهة التقنية الروائية والحركية السرد أيضا. تجلى فيها الوعي الكامل عن مجتمع العماني وجذور ثقافته وتاريخه الغابر الذي لا ينسى في سير البلد إلى بلاد غني بدخلها النفطي، تعالج الكاتبة في الرواية جميع أفراد المجتمع ما لاقوا من التمييزات والتمييزات خاصة النساء والعبيد، وترسم ماتتكوّر في أفكارهم وما تنتظر مستقبلهم وما يشعل أذهانهم، فيها أحلام الحب المفقود لشخصية ميا وآمال العشق الضائع للندن

وحياة عبد الله المعلق بين السماء والأرض والخيال المتكسرة أجنحتها لخولة حول ناصر الذي يعمل في خارج البلد، ومشقات باهضة التي ضايق ظريفة بتحمل مسؤوليات أسرتها وأسر سيدها سليمان التاجر، تصوّر جوخة الحارثي قصة أسرة انبسطت ثلاثة أجيال، من حياة ثلاث أخوات، تدخل سردها من الماضي إلى الحاضر والعكس، دون أن يضجر القارئ هذا التغير الزمني، وبلدة عمان من البلاد التي تأخر فيها الحكم لمنع نظام العبودية، فالرواية تتخذ هذا النظام الذي تستمر سيره من طرق مختلفة موضوعا لها بحيث تصور وجوها ذليلا لحياة هؤلاء العباد الاجتماعية. والعبيدات يستخدمهن جنسيا حتى المراهقين والشيوخ، ثم إذا اضطروا لتركهن زوجهن للعباد المتمردين. تناقش الرواية من خلال بعض الشخصيات عن سلطة الرجال في الأسرة، التي لا تقوم في وجهه كلمات النساء في المجتمع العماني. وكذلك تعرض تاريخ عمان الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية في القرن الغابرة.

جوخة في التراب كيرالا

كانت زيارة جوخة الحارثي ولاية كيرالا في يناير ٢٠٢٠م. حدثا أكبر بالنسبة الى من يحب الأدب، خاصة إلى الذين يسيل في عروقهم حب لغة الضاد وأدبها، ولم تكن هذه الزيارة هي المرة الأولى قدومها إلى كيرالا، وقد أتت لمشاركة ندوة التي جرت في رحاب كلية كايا وأتم تحت جامعة كيرالا قبل سنوات، وميزة هذا المجيء وهي أنها تأتي حاملة الجائزة الدولي، وبعد انتشار شهرتها في الأفاق. استقبلها المدرسون والأكاديميون والطلاب في رحاب كلية ام اي اس ممباد بترحاب حار، قدمت للمشاركة مؤتمر «ميسماك» الدولي الذي عقده الكلية كضيف شرف لحكومة كيرالا، وللمحاضرة الأكاديمية مع المدرسين والطلاب. هنا فرصا ذهبيا نالتها الجميع للمقابلة معها .

اللقاء مع جوخة الحارثي في رحاب الكلية كانت فرصة العلم والمعرفة، جميع الأسئلة من بين المستمعين واجهتها ببشاشة بعد أن ألقّت بعض المحاضرات وقدمت الورقات. أبرزت جرأتها لحرية الكتابة والإبداعات الفنية، وأخبرت أنها لا تخاف في تحرير ما تفكر في أنها صحيح، وشاطرت مع المستمعين تجربتها منذ الصغر بالقراءة والكتابة من أسرتها العريقة في الأدب العربي. حياتها كأنها طالبة كانت مشغولة بالكتب والفنون اللغوي، وإذا

أردنا أن نعرف قدر قيمة مؤلفاتها الأدبي علينا أن نصرف أنظارنا إلى مستوى الأدب في عمان، خاصة الأدب الروائي النسوي، وإن جوخة الثانية من بين هؤلاء النساء التي يضعن أيديهن في هذا المجال. وقدم تربة عمان راسخة في الشعر، لا في الرواية. والفضل في رحلة الأدب الروائية العمانية، التي بدأت من رواية "ملائكة الجبل الأخضر" لعبد الله الطائي، إلى قمة الأدب العالمي ستعود إلى جوخة الحارثي. وهي التي ردت الانتباه العالمي إلى فسيح عالم الأدب العربي مرة ثانية. و"سيدات القمر" ٤ قد تأهلت لجائزة من حيث أجود رواية عمانية سنة ٢٠١٠م. على إثر ذلك تعرضت لمذح النقاد بعد ان طبع باب من هذه الرواية مترجما في مجلة بانيبال، والروايات العربية لها تاريخ حيزت من هذا الانجاز مرارا في المسابقات النهائية. قد دخلت الرواية العربية " فركنستين في بغداد" في القائمة الأخير، وهي لأحمد سعداوي، الكاتب العراقي، ترجمها جونا دن ريت. أعلنت جوخة الحارثي رجائها مزيدا من عالم القراء للأداب العمانية بعد حصولها على الجائزة العالية. تمكنت جوخة مسيرة أسلوب الروائية الأوروبية من دون أن تخلع ثقافتها العربي في الكتابة. ولم تدخل إلى المشابكة مع القوانين التي تقوم في عمان والأنظمة السياسية الداخلي، مع ذلك ساست مجال أدب الرواية العربي إلى العلى، فجوخة قمر هذه السيدات التي يضحون بريشتهم ضد الظلم وعادات الاستبدادية ومعاملات المعوجة تجاه المرأة والمنبوذين والمجنبيين.

المصادر والمراجع :-

- بهاء الدين محمد مزيد ، "في سيدات القمر" لجوخة الحارثي سرد هادروفسيفساء زاخرة ونفوس عالقة، مجلة ميريت الثقافية العدد ٨، أغسطس ٢٠١٩م.
- شوقي عبد الحميد يحيى ،مجلة الكلمة الإلكترونية ،العدد ١٤٨، أغسطس، ٢٠١٩، دراسات، لماذا جوخة الحارثي.
- عزيزة الطائية ،الخطاب السرد العماني: الأنواع والخصائص ١٩٣٩-٢٠١٠ دراسات، دارالفارس للنشر والتوزيع.
- جوخة الحارثي ، سيدات القمر، دار الآداب للنشر والتوزيع ،بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.